مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح
مسرح

الـزغـنـنـة / الـوصـي

محمد تيمد

محمد تيمد مسرحي مغربي شاب ابتدا علاقته بالمسرح منذ بداية الستينات ، واستمر رغم المثبطات في طريق البحث والتجريب غير متساهل مع فنه ولا متسامح مع جمهوره . انه يطرح وجهة نظر استطاع أن يبلورها من خلال اعماله الكثيرة : كتابة واخراجا ، وتمثيلا ، وديكورا ، وانارة . انه يربط بين الكتابة وممارسة العمل المسرحي ، في ظل غياب شروط العمل الفني والمساعدات التي من شأنها أن تسمح بتطوير امكانياته الفنية والحركة المسرحية بصفة عامة . و « الثقافة الجديدة » تعتز بنشر مسرحيتين من بين مسرحيات محمد تيمد . اذ لاول مرة تنشر مسرحية كاملة لهذا الشاب ، ونحن نومن بان الاساسي من هذا النشر : هو توصيل جزء من تجربة تيمد الى أوسع عدد ممكن من القراء ، بالاضافة الى اتاحة الفرصة لطرح امكانية من بين الامكانيات ، ولطرح صيغة للعمل المسرحي بالمغرب تخضع للمناقشة والسؤال .

« المجلة »

الـزغـنـنـة

قبل رفع الستار بقليل تسمع موسيقى تتحول هذه الموسيقى الى صداع بأدوات معدنية .

تنطفيء الانارة عند ذلك ويسمع أزيز يفتح معه الستار وتحت الظلام العام سواء في المسرح أو في القاعة يسمع ألم امرأة ويعقب ذلك صراخ طفل قد وضعته أمه لتوه ويعقبه تسجيل لهذه الكلمة :

السكوت ... السكوت ... السكوت .

تصعد انارة دائرية على الخلفية حيث يبدو الممثل وقد أعطى ظهره للجمهور وهو يضحك بأعلى صوته الى أن يسعل سعالا عاليا نعقبه العواقة . تكون الانارة قد ارتفعت فتمر امرأة بقدح ترش جميع أركان المسرح وهي تلبس لباسا يجمع ما بين الاسود والابيض .

يصيح الممثل ويلتفت فتفر المرأة هاربة يقف الممثل منتشجا لحظة ثم ينطلق نحو الامام عدة خطوات وفجأة يقفز وكانه انقض على شيء لكن ذلك الشيء افلت منه في اتجاه أعلى يتبعه بعينيه ثم برأسه ثم ينهض ويقفز ملتصقا بحبل من الحبال التي تدلت من أعلى وهو يلهث ويقول :

لست حشرة أنا لست حشرة أنا شحنة من الافكار والعواطف .

تشتعل انارة على الحبل الذي يلتصق به الممثل .

ينظر الى أعلى

لقد احسست الجوع

أكاد أموت من الجوع

ينظر الى أعلى دائما وكانه يتبع شيئا ينظره

وفريستي تمشي الهوينى فوق ذلك الخيط الواهي .

يحني بصره

كالذي يمشي على حبل السرك

يفتح يديه كانه يقبض بعصا

بين يديه

يسقط ارضا وتشتعل انارة عليه من فوق

عصا التوازن ... وما التوازن

تشتعل الانارة بالتناوب على الحبل (مع دقة ناقوسية)

والممثل يطوف في حركة بهلوانية راقصة حول كل واحد منها وكل حبل مر به اشتعل يأخذه الدوار فينهار ارضا قرب الكرسي الميال حيث لمسه فأخذ الكرسي يتمايل والانارة على الحبل تتناوب وقد اشتعل على الممثل انارة خافتة قرب الكرسي بينما انطفأت انارة المكان الذي جاء منه كل هذا مع موسيقى . تسكت الموسيقى .

وتشغل الانارة في الخلف حيث نرى بواسطة خيال الظل الملون ذبابة تتحرك

انها هناك بجناحيها البنفسجيتين وعينيها البنيتين البارزتين تفرك

يفعل ما تفعله الذبابة .

رأسها بيديها السوداوين وأنا هنا يسيل لعابي ، يسيل لعابي لهفة على المضغ على الابتلاع .

يزحف محاول القبض على شيء يراه على الارض وينطفيء خيال الظل لتشتعل الانارة شبه عامة عن الحبال وفاه فاغر ولعابه فعلا يسيل .

لقد قال الاقدمون الجوع يجعل المترفع ساقط والعريان خياطا .

يقبض فعلا على شيء

انها هي

ينهض ياكل ما قبض عليه ثم ينبطح على ظهره وبعد هنيهة يرفع رجليه وينفجر ضاحكا :

الآن لا استطيع أن أقول بأنني لا أستطيع رؤية نفسي

يمد رجليه اكثر

هاتان رجلاي ممدودتان الى طول ماسح في العالم يداه تمسحان ورأسي تحد قدميه ومع ذلك فكلانا يستطيع رؤية نفسه .

يطوي ركبتيه ثم يجمع فخذيه الى رأسه :

لقد وصلت العروس غير ان شموعها انطفأت مع هبوب رياح الغرب

يطلق ركبتيه ويثب جالسا جلسة التحية عند الصلاة في الاسلام ويلتفت يمينا وشمالا :

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

يرفع كفيه للفاتحة ويبدو في المؤخرة خيال ظلال على ثوب متحرك ازرق بالانارة وقد كتب في دائرة بيضاء الله ، وهو ينطفيء ويشتعل . ينظر الى كفيه بعد نهاية الفاتحة فيبتسم ساخرا :

ذبابة ولكنها سمينة كالنحلة تلك التي تحمي بأشواكها

وكانه اطلق سراحها فطارت :

طيري طيري ارجوك

ينتبعها بنظراته وهو ينهض ويقلدها :

طيري واسمعيني ذلك الطنين

يدور وهو يظن حول تلك الحبال التي أضيئت هذه المرة من الخلف ، خلف الستار الداخلي ، الى ان تسمع دقات الساعة التي لا تنقطع ويتحرك الكرسي وحده وتتبدل الانارة على الحبال كما تلون في الخلف ، يتوقف عن الدوران :

انه موعدها سوف تحضر الى هنا لاخبرها عن كل شيء لن أبقي عندي من الكلام كلمة تنزل بها الى الحضيض سوف احتقرها .

يخاطب الكرسي الذي أسرع تمايله

بامكان الانسان أن يتخيل نفسه على أية هيأة أراد .

يتوقف الكرسي قليلا

وذلك عندما تضم ملحود الصمت

تمر المرأة ذات الاسود والابيض وكأنها سوف تجلس ولكنها ترش وتخرج

وتطوي كيانه في مقابر السكوت

ومع ذلك فسأظل أصعد واصعد

تقل الانارة عموما فيرجع الى نقطة انطلاقه وهو يردد ويخفض من صوته :

أصعد واصعد

تسكت دقات الساعة التي رافقت كل هذه التراكيب .

تشتعل انارة الحبل الذي يقف قربه وانارة الكرسي وانارة في الخلف على خزانة للكتب مع كتب وملابس ملقاة هنا وهناك ينظر الممثل الى الكرسي

انت هنا لقد انتظر طويلا ... لم اسمع أزيز الباب وأنت تدخلين ... لا بد ان صاحبة البيت وضعت في الرتاج قليلا من زيت البلاستيك انها امرأة تحب أن تتجسس تحب ذلك لانها تتخذ منه تجارة ...

يقترب من الكرسي

لا بد انك متعبة

يقترب أكثر

لا بد أن السلم التي نزلته أتعبك

يجري نحو الكتب حيث يحمل غطاء ويأتي به نحو الكرسي (موسيقى)

البرد

ناخذه رعشة فليقي بالغطاء على الكرسي

لا فلتدفئي أنت أولا

يستعد خائفا :

فانت امرأة عجوز جلدها شفاف تظهر عظامها من تحته أما انا انا فانا انا

انه انا ...

كانه تذكر شيئا ليتلف مجرى الحديث

آه تذكرت الكتاب تذكرت الكتاب

يجري نحو الكتب ويقلب وبعد برهة يعثر على الكتاب الذي أراد فيعود به :

هذا هو الكتاب ... أي كتاب ! كتاب الحيوان لمن للجاحظ طبعا .

يرمي الكتاب فوق الكرسي الذي أخذ يتململ :

لقد أنهيت الحديث عن الذباب

يتقدم الى الامام في الجانب الآخر ويتمدد :

اتممي الحديث اني مستمع اليك

يترنم هو بأغنية الى ان يأخذ أجفانه النوم

تقل الانارة ويظهر شبح المرأة وهي ترش وترش فينهض الممثل وتفر المرأة تشتعل انارة عامة مفاجئة يثب الممثل واقفا وهو ينظر الى ساعته وكأنه متأخر عن موعد (موسيقى)

اف سوف أصل متأخرا هذه المرة كذلك

يتوجه الى الخلف حيث يقوم بعملية غسل الاطراف ايماء ثم يبدأ في الهرواة بين الحبال وكلما مر بحبل طلب منه السماح أو حياه كشخص يعرفه وهكذا وفي الاخير يصل الى المقدمة فيطل عساه يرى أحدا بها .

آه صفي كلشي حاضر غير أنا اللي جيت معطل. علاش جيت معطل العذر ديالي راكوم كتعرفوه بحال كما كنعرف أنا العذر اللي جطوكم تجيومشي قبل مني ولكن قبل من الوقت على كل حال انتما عارفين عذري وأنا عارف عذركوم ولكن واش كاين شي واحد عارف العذر ديالو العذر دنفسو كيظهر ما نطولوش الهدر ما دمنا حضر جميع فأنا هنا وانت هناك وسوف يبتدئ الحساب .

يقف في الوسط ويصمت برهة ثم يقول في هدوء نسبي (تعود الانارة كما كانت من قبل) :

الارض هذه الكرة التي نلتصق بها كالحشرات اما آن لها ات تلتحق بالشمس في اصطدام يذهب بهؤلاء القوم الذين يتآمرون على سلامتها يجب أن ألبس ثيابي الجديدة فاليوم عيد لا يحتفل به في العالم كله الا أنا

يتجه نحو الثياب المبعثرة وقد عادت اليها الانارة :

هذه كسوة الحفلات الرسمية

يديرها في السماء

التي تفرغ فيها كؤوس النصر وقوفا

يرمي بالكسوة :

لا لا هذا لا يليق بمناسبة كهذه

وهذا لباس الاستقبالات والإستعراضات انه كثير الزخرفة يجعل نفسي تختفي تحته فأبدو كعنكبوت اكلت مائة ذبابة .

يضحك ويرمي بالثوب :

لن ألبس شيئا سوف احتفل عاريا لاظهر حقيقتي للمدعوبين ثم انني

لا أريد أكل ذباب لانه عسير الهضم .

تاخذه النقاقة الى الكرسي :

هه .. ماذا تقولين ... يا عجوزي الصغيرة ..، الحر شديد ،،، ارفعي الغطاء عن وجهك ...

يلتفت الى الجمهور ولكنه يعود فيلتفت الى الكرسي كان أحدا كلمه ويصرخ :

امنحيني قليلا من الصمت حتى لا أخر جعن الموضوع .

يلتفت الى الجمهور وكانه يبحث عما ينبغي ان يقوله :

العفو ... لقد شغلتني زوجتي عن متابعة الحديث ... انها امرأة لـم تعرف الشباب قط ولدت عجوزا وشبت عجوزا وسوف تموت عجوزا ، انهـا امرأة تقول بان الذي يقضي حياته عجوزا سوف يتمتع في الآخرة بشباب دائم

نظرة خاطفـة الى الكرسـي

ان زوجتي سوف تدخل الجنة لانها امرأة لم تخن زوجها الاول الا لانها كانت تعرف أن العالم ممتلىء بالرجال وما دامت امرأة فبامكانها أن تختار أي زوج تشاء ... فاختارت شابا مثلي لـ ،ماض مجبد ...

لحظة صمت طويلة والممثل واقف

لقـد أعيانـي الوقـوف

يقتـرب مـن الكـرسـي

هل تسمحين لي بالجلوس على ركبتيك يا زوجتي العزيزة ... ان وزني خفيف جدا فانا كالريشة الست تقولين لي دائما بان وزني خفيف ... الـم تقولي هذا قط ... ولو مرة فوق سرير النوم ... طيب سأظل واقفا ،،، على كل فانا لست معتوها مثلك

يعـوج جسمـه

يفر بعيدا وكانها تتبعه ، يتحرك الكرسي بشدة :

على المتزوجين منكم أن يعيدوا النظر في طريقة معاملة زوجاتهم لهم ... فسوف يجدون متعة في ذلك ... تجعلهم يحبون نساءهم أكثر .

يشـد بطنـه فجـاة :

آه الجوع ... عاد الي ذلك اللعين يلوي امعائي ويمطط احشائي

تنطفيء الانارة الا على الحبال وعليه فيضع يديه أمام وجهه

لقد بدأ الجوع يتحول الى ستار أسود يرخي سدوله بين عيني ويدي

ينظر الى أعلى وتبدو بخيال الظل في المؤخرة الذبابة :

آه لو فقدت فريستي عصا التوازن وسقطت من فوق حبلها السحري

يضحك ضحكـا خفيفـا مستمـرا

لقد بات غير مجد حتى وان حدث ذلك

انارة على الكرسي تشتعل والممثل جامد لا يتحرك وبعد برهة يلتفت الـى الكـرسـي :

انت تئنين أيتها العجوز ؟ ... مم تئنين انت أيضا تئنين من الجوع ... الجـوع يسحـق امعـاءك .

يرفع رأسه ثانية وخيال الذبابة ما يزال قائمـا :

اني أتخيلها في هذا الظلام وهي تفتل وتتلوى كحية تتأهب لغرس أنيابها نافثة بذلك في جسمي أنا ا ا ا ا

يسقـط ويصيـح :

لقد لذعتني ... أووه ما هذه النار التي تملأ بصري ان السم يسري في جسمي انه بارد بـارد

يمد يده وهو ملقى على الارض :

ردي الي الغطاء ردي الى الغطاء ردي الى الغطاء .

يـصـيـح :

ردي

يـنـهـض :

الـي الغـطـــاء

يتجه نحو الكرسي واخذ الغطاء ثم يلتوي فيه ثم يهذي :

زعموا ان الحية عندما يؤلمها الجوع في الصحراء تأتي لتقف ممتدة الى السماء فيمر من فوقها الطير وقد اشتد به الحر فيحسبها فرع شجرة باردا فينزل عليه واذ ذاك تفتح فاها وتقضمه قضما .

ينطبح على الارض متكئا على الكرسي ويترنم بأغنية وتسمع دقات الساعة .

أليس غريبا أمر تلك الحية يا جدتـي

يتابع الترنم ثم يتوقف مع توقف دقات الساعة :

طبعـا لا

يـتـرنـــم

فـي نـظـرك

يـتـرنـــم

فانت تعارضينني دائمـا

يترنم ثم يصيح وينهض من قربها بعيدا :

تعارضينني حتى في أن الشمس هي التي تستمد نورها من القمر وليس العكس كما اثبته العلم الحديث .

يـتـرنـــم :

أنا لا يعجبني القمر الاحمر يا جدتي ... أعرف أنت لا تحبين القمـر الاخضر الذي أحبه أنا لا لشيء الا لان كاليكولا أحبه وألح في طلبه ولم يطلب ذلك القمر الاحمر البشع الذي يساعد الساحرات على خبل عقول الاشقياء .

بـرهـة صـمـت

هو ذا قمرك الاحمر أيتها ... آه ... العفو لست أريد اغضابك ،،، اوف

ولماذا اعتذر وأنت لم تغضبي ولو مرة واحدة طوال حياتك هذه .

يخرج ، تقل الانارة حتى الظلام وتسمع له صيحة كأنه سقط في هوة سحيقة تعود الانارة فيعود معها وقد لف رأسه ويده بالجبص وينبطح رافعه ارجلا ويدا ثم تهمس :

قالوا ان هذا حدث لك عندما كنت تقود سيارتك اذ فاجأك القمر الاحمر الذي تكرهه فأنارت الدنيا في عينيك ثم استحالت والظلام حجب عنك السبل وقادك الى حيث كانت شجرة الزيتون العظيمة في لقائك .

ينهض ساخطا :

انزعوا عني هذا اللحاف .

يزيل الجبائر :

أنا لست معطوبا لست معطوبا لست معطوبا .

يزيلها كلها

أه لقد خف جسدي وأصبح كالريشة أنا أطير اني اصعد

ينكمش الى ان يصبح العجوز

اصعد اصعد وداعا يا جدتي وداعا يا زوجتي ، لقد قطعت السماء الاولى الآن ولا ازداد الا صعودا وصعودا ، أنا الان في السماء الثالثة وهذه الرابعة فالخامسة فالسابعة .

يسقط أرضا ويئن موسيقى (وانارة على الحبال فقط) يتحرك بين الحبال على ركبتيه سائلا الحبال :

ما اسم هذا البلد يا سيدي وأنت يا سيدي قل لي من فضلك أين نحن من الارض ... عجبا لهؤلاء القوم صم بكم ... انهم لا يلتفتون الى الوراء أبدا ... الجد .

يضحك ضحكة خفيفة

الجد ... سوف اسأل رجلا آخر

يتحرك من مكانه

قل لي يا سيدي ما اسم هذا البلد ... ارجوك اجبني ... أتريد مالا ،

يقف ويبحث في جيوبه

معي خمسة دراهم كنت سأدفعها أجرة لكراء بيتي بيتي الذي وضعت فيه رتبة قليلا من زيت البلاستيك انها تفضل تلك الزيت لان زجاجاتها لا تنكسر ... آه أتريد الدراهم الخمسة يا سيدي بالله عليك اخبرني ... آه لقد ذهب ... أين أنا أين أنا ما هذه الارض

يبكي تقل الانارة

تمر المرأة وهي ترش دائما ينهض الممثل فزعا وقد زادت الانارة وأشعلت على الكرسي :

ماذا تقولين ... انها السابعة ... السابعة مساء أم صباحا .،، اذن فلقد

نمت كثيرا ان عظامي تكاد تخرج من جلدها .

يتمطط ويتثاءب :

ما اسم اليـوم ؟ الخميس طبعـا

يتجه نحو الكرسي ويديره نحو الجمهور ويجلس متمايلا به :

لا بد أن شيئا مكروها سوف يحدث آه من تلك العجوز التي على صوتها استيقظت ... سوف أذهب لاستقبالها اننا في يوم الخميس

يبقى جامد الحركة وعليه انارة ويسمع هذا التسجيل :

أنظروا اليه لقد أعياه التمثيل وانه الآن عظام لا تكاد تحمل بعضها .

ومع ذلك فهو لم يأكل ولن يأكل لان فريسته ما تزال ممسكة بعصا التوازن

يردد في هـدوء وهـو يتمايـل :

التـوازن التـوازن التـوازن

ينهض مفزوعا ويقفز الى القاعة صارخا :

ما نمتلش عييت قلبوا على ممثل آخر أنا كنرفض كنرفض ما لاعبش مـا ممثلـش .

الى ان يخرج من باب القاعـة

تشتعل الصالة موسيقى ومعها هذا التسجيل الصوتي :

عندما تنفجـر بطون العناكب
ينتفخ صدر المـرأة الكـاذبـة
ويغمـي علـى الصبـي
فـي مهـد الشيـاطيـن
عندما تقبل ارملة الخرتيت
وقـد تبلـل قـرنهـا
بـدمـوع الغبطـة
لـيـــروي
ليقـول للنـــاس
أيهـا الـنـــاس
ان مـن بينهـم قـومـا
هـــم نـــاس
وهـم الـنـــاس

تنطفيء الانارة ويسمع هذا بالمبكروفون :

لقد بحثنا عن الممثل فلم نجده ... العفو لقد عثر عليه أحد الناس عندما كان يحاول الخروج وهو الآن رهن الاعتقال والرجاء منكم أن تأخذوا اماكنكم حتى نحاكمه على هذه الفعلة الشنعاء .

تشتعل انارة عامة ويلقى بالممثل الى المسرح فجأة ثم يسمع أزيز أبـواب وأقفال ، يبقى الممثل منبطحا مدة من الوقت ثم يستيقظ ، يقفز واقفا :

لقد أصبح ما كنت تفكر فيه ذا قيمة

فلتصح قدميك من الارض ولتلتصق بها ، لتأكلك الحشرة التي كاد بميتها الجوع ...

سوف يطعمونك ما شاؤوا ولكنهم سوف يطعمونك على كل حال

عجبا لست أدري كيف حدث كل ذلك ... قال أحدهم ورقتك اصعد وانزل وبين الصعود والنزول قضي الامر ولفظ كلمة الفصل رجل مقنع في قاعة قريبة من الظلمة الحالكة ... غريب أمر ألواح العدالة فهي غليظة مشينة ومع ذلك يخترقها مسمار الحق لمجرد الضربات الثلاث .

يضع وجهه بين حبلين كأنهما عمودي زنزانة :

ايه أيها الرجل ... أيها السجان أين الكتاب الذي كان معي

يتبع السجان الذاهب الآتي بوجهه :

كتاب الحيوان للجاحظ ... من الجاحظ اني أعذرك في ذلك فما أنت الا قزم صغير محشو في كسوة ذات سروالين وكمين تغطي رأسك قبعة الحضارة.. الجاحظ كاتب كاتب كا... يا غبي وما جحظت عيناه الا لتفحصا كل شيء تراه

يترك الحبل ويرجع الى الوراء :

يجب أن أنام قليلا

يضطجع وينظر الى أعلى في صمت ثم يصيح :

ويلاه أأملك كل تلك القوى وأسلم جفني للنوم .

ينهض بسرعة :

تقل الانارة الا عليه وعلى الحبال :

تلك العجوز اني أعرف الآن من أين حلت مصيبتي هي التي أخبرتها بكل شيء

ينزل على ركبتيه ثم يجلس رافعا أصبعه الى السماء ومتكئا باليد الاخرى على الارض :

كل هذا كان منتظرا الا أن تنزل بي تهمة خنقها بالغطاء ... لقد غطيتها لانها كانت

يصيح :

كانت تحس البرد

يضرب على الارض بكفه :

البرد البرد البرد البرد

يمد يده أرضا ويستند عليها ويبقى رافعا يده الاخرى الى أعلى :

كان من المقرر أن نكون أكثر ولكنهم دفعوا بي وحيدا في معركة نسجوا خيوطها فأصبحت رداءا يبدو مدفئا بينما هو خانق ثم قالوا قدمه لها كهدية ليلة عيد ميلادها الحادي والتسعين .

يصمت قليلا :

يستقيم جالسا ويفرق رجليه وكأنه يلعب بأحجار ثم يتوقف ليضع يديه على فخذيه وينظر الى الارض ضاحكا ضحكا خفيفا :

أنت تمتد هكذا ببطء ، تطول تطول ، لقد أصبحت نحيفا .

يضع يديه ملتقيتين على الارض ويجمع ساقيه وتأخذه رعشة وتشنج يصرخ بعدهما صرخة خفيفة ويسقط فلا يسمع الا أنينه وهو يهمس :

أأنت متأكد من أنك لم تفعل شيئا أأنت واثق من ذلك .

يصيح :

لا

يهمس ثانية :

اذن فلتتذكر ... تذكر

يعود فيجلس ويضع يديه تحت ويتكيء عليهما :

لقد كانت تنظر اليه تجعلني كالضفدعة الخائفة ، أقفز عاليا لاعود فأنزل في مكاني كي أقفز من جديد .

ينهض ويتجه نحو الكرسي ويجلس عليه بكل شعور بالراحة :

عندما يجلس الانسان تشده خيوط الارض أكثر لذلك فهو يشعر بالراحة ولا شيء غير الراحة ومن خلال لحظات الراحة يتفرج على شخصه عندما كان بطلا عاشقا عندما كان

يتحرك بعنف :

متحركا ، ولكن بصمات اليأس سرعان ما تمتد الى جفونه فتسلمها الى أحلام يحقق أثناءها من الامجاد ما ...

يقف غاضبا ويبتعد عن الكرسي :

انـي أخـرف .

يلتفت الى الكرسي :

والحقيقة أن زيارتك قد أزعجتني أيتها العجوز لم أرتح اليك منذ أن رأيتك اني أخافك مثلما يخاف الذباب خيوط العنكبوت ... لقد كنت قويا أقوى من الزمان أقوى من الايام المشحونة حربا ودمارا وهبت رياح من هناك من الغرب الاقصى محملة بنسمات البارود تبحث في جسمي عن الدم عن الحرارة اذ ذاك عانقت الصمت وأخذت أنظر الى قومي الذين أرضاهم ذلك الشيخ المسن برفاهية عبثت بكيانكم فأمسوا كشظايا الكؤوس التي أفرغتها ليالي أبي نواس .

يقترب من الكرسي :

من أجل هذا تزورينني أيتها العجوز لتظهري أسفك المشحون خداعا .

يغضب ويبتعد عن الكرسي :

أجل لا حاجة لي بزيارتك واخبريهم جميعا اخبريهم على أنني سأظل هنا في رحاب هذا القفص المظلم ، لست أريد منهم شيئا ولست في حاجة الى

من يشفق علي كلهم مخادعون .

أنا لست انسانا في نظرهم وماذا أكون اذن أليست لي رجلان مثل أرجلهم ويدان وعينان ورأس ، ألست أتزوج امرأة هي الاخرى مثل نسائهم أليست لنا نفس المشاعر عند الخوف عند الحب وعند الجوع أجل كل هذا موجود ومع ذلك فأنا لست انسانا لاني أحب الانسان لست انسانا لاني لا أملك أرضا ... وليس تالي امرأة عجوز تظل معكوفة الرقبة غارقة الافكار بين سطور ذلك الكتاب وأي كتاب .

يضحك :

رجوع الشيخ الى صباه .

أنا عجوز تؤمن حقا بأنها سوف تصبح صبية يوما ما وتنسى أنه بين الطفولة والشيخوخة .

يعود الى الكرسي ويجلس واضعا يديه على ركبتيه وناظرا الى أعلى وصامتا (موسيقى وانارة عليه وحده) وانارة حمراء وبرتقالية في المؤخرة :

لقد كان عمري تسع سنوات في البطن عندما كان أبي يتسلم مفاتيح خيمة من تطن عفن أقيمت بضواحي المدينة هناك خلف ذلك الخط الوهمي الذي **يفصل**

بين ... اوف لا داعي لذلك

كنا سبع اخوات وأنا وكانت أمي دائمة الدموع ... كنت أعتقد أننا خرجنا الى البادية لقضاء عطلة وطالت العطلة وبدأت حبال وأعمدتها ترتكز غارقة في الارض وأخذت تتوغل وتتوغل الى أن بدأت أدخلها راكعا وتزوجت أختي الكبرى من رجل لم تكن خيمته بعيدة من خيمتنا لم يكن يشتغل لانه لم يكن هنالك أحد من سكان تلك الخيام يشتغل .

ينهض ويتجه الى الخلف :

ايه أيها الرجل اني لا أريد أن يزورني أحد تستطيع أن تخبرهم بذلك

يعود الى وسط المسرح حيث يضطجع وبعد لحظة صمت تدق الساعة وتقل الانارة :

نفس المكان سماء غائمة مكفهرة

أرض ملتهبة مدلهمة

رياح تحمل في طياتها أنفاس الماضي الحزين

وشعري تاج من القصدير

يجلب الضحك والسخرية

يجلس :

أنت آكل الذباب وقاتل العناكب وتقول انك لست حشرة وماذا تكون اذن ماذا تكون .

يجهش الممثل بالبكاء وكأن به غثيانا :

اني أشعر بنفسي وكأنني مسافر فوق الشوك أو كمن يمشي في شبكة .. أرى حولي الناس في دائرة عظيمة وكل واحد منهم يحمل سوطا ليصفع به جلدي ان أنا حاولت الخروج من جهته لقد أصبحت انسانا آخر .

يزحف نحو الجمهور :

وأنتم أيضا تشعرون بذلك التغير ولكنكم لا تستطيعون أن تقولوا شيئا لانني كلما تغيرت جعلتكم تقفون على مأساة ساهمتم في حبك خيوطها ثم رميتم الي بتلك الخيوط على وهنها لانسجها ثم ... العفو اني لا أتهم أحدا فمشكلتي لا تعني أي واحد منكم بقدر ما تعنيني أولا وتعنى تلك العجوز التى رحبت بي في هذه الظلمات ثانيا .

يقفز واقفا بعد صمت (تزداد الانارة) :

اعتقد أن اليوم عيد ميلادي ... في مثل هذا اليوم نفضت امرأة ما في بطنها لتلقي الى العالم بصبي .

كان هذا تحت خيمة من القطن تغطي نسيجها ملايين الذباب متزاحمة متراكمة تتجانس وتتجانس لتتوالد فتتوالد وتتوالد لتتكاثر فتتكاثر وتكاثر .

وكان الطنين يملأ جو الخيمة المقموع بفوضى الاواني السوداء .

في مكان كهذا فرقت تلك المرأة رجليها وهي تشد بعمود الخيمة وتكتم آلامها ليسقط من تحتها وبدون صياح صبي ... لم يصح لان التراب والرمل الذي وقع عليه قد سد حنجرته الصغيرة .

ولم تتألم المرأة لانها كانت تريد أن تموت ولبثنا معا كذلك في انتظار شيء ما ... أي شيء وشمت الذبابين رائحة المصارين فتركت ظهر الخيمة للشمس لتنتشر فوقي وفوق فخذي أمي وهي تطن مزمجرة وتتطاير غاضبة متحاربة فيما بينها للحصول على بقعة بليلة .

تأخذه نوبة عصبية وهستيريا فيرجع الى الوراء ويرتمي أرضا (موسيقى وصمت بعدهما يقول :

اوه أنا هناك

يجتر على الارض :

تمشي تقترب مني تناولني قدح السم تريد القضاء علي

يقف على ركبتيه (انارة على الحبال)

لقد أكلتهم جميعا ... هم أرادوا ذلك

أكلتهم لانهم ماتوا جوعا وأنا لا احتمل الجوع لا أحتمل الجوع .

يسمع ضجيج الاقفال والابواب الحديدية فينهض ويمسك بحبلين :

من هناك أنا لا أريد استقبال أحد

تسمع خطوات ايقاعية بينما تمر المرأة وهي تلبس الاحمر وترقص مع موسيقى خفيفة :

آه هذا أنت أيها الجلاد المسكين لقد اثقل الزمان كتفيك فنزلنا على جنبيك وصدرك الممتلىء وفوق بطنك المنفوخ أنت لا تعلم من أين جاؤوا بي أنت لا تعلم .

يبتعد عن الحبل ويشير بأصبعه الى الجمهور :

يقترب من الحبلين ببطء والرقصة مستمرة :

ومع ذلك فاني أطمئن اليك ... هل صدرت اليك الاوامر بابادتي ... هل ستريحني ... هل أستطيع الاعتماد عليك في ذلك ... أنت لن تجيبني طبعا لانك أبكم ولو كنت تفعل لفعلته مع الذين مروا بك من قبلي .

تنتهي الرقصة وتخرج المرأة :

فتضرب أعناقهم لتقدم رؤوسهم الى أهلها كقداس تدفعه تكفير الخطيئتك

يشد رأسه بيديه :

اني أدور أحس بجسمي يدور يسبح في بحر من الحمى .

ينكمش :

ألا غطاء عندكم في هذا المكان ؟ العرق البارد

يضع يده تحت أبطه ويشم

اخ ... العرق البارد ... انها رائحتي .. أريد ان أتقيأ

يصيبه الغثيان :

ما أزال أدور ... يتطاير مخي أشلاء في فضاء لا نهاية له ... كل هذا هين ولكن الصداع ... الصداع هو الذي ينهكني .

ينكمش أكثر :

سوف أكتب اليها رسالة

جدتاه ... ألم نضرب صفحا على الماضي أم انه ما يزال عالقا بذهنك الصغير يلوك قشوره بين لثات أسنانك المنخورة ومع ذلك فلقد كان سعيدا ذلك الماضي ... عندما كنت طفلة عندما كنت امرأة حسناء تبيع عرضها في أسواق النزوات .

لست أتهجم عليك اذا قلت انك لم تحسني التصرف فزوجت ابنك امرأة عقيمة وزوجت ابنتك رجلا عقيما فانتشر العقم .

ينفجر ضاحكا ثم ينعكف مادا يديه ورجليه على الارض :

عجبا اني أرى فريستي تقترب مني ليت لي لسان الحرباء حتى أرسله لزجا مبللا فاجتر به تلك الذبابة التي ما فتيء طنينها يكسر سمعي .

ينبطح على الارض :

فلاكن الحرباء ... اني اتحول ... الحرباء

يرحف :

انى اتكون اني ألون كفى أيتها الحرباء ان فوق ظهرك صقرا يقترب منك بمخالبه .

ينهـض بسـرعـة :

ارمنـي بنفسـك

يظل في صمت (تزداد الانارة :

اني أنزل أشعر بنفسي نازلا الى الحضيض وكثير من الناس يتساءلون ماذا أقول لهم اني أنزل ، أسقط واسقط ويتبعني ذلـك البـاز ذو المخالب الملتهب يريد أن يلتهمني لست هاربا منه ولكنني أسقط مرغما .

يصرخ ثم يصمت واقفـا :

يضحك بأعلـى صـوتـه :

يـخـتـنـق :

انها لمسألة تغري بالضحك فاضحكوا هه اضحكوا هه هه اضحكـوا اضحكوا هه هه اضحكوا ألفـهه لست أحمق حتـى أرددهـا عليكـــم هذا العديد من المرات تضحكوا هه هه هه .

قال أحد الحكماء العظماء الفقهاء الثقلاء النفقاء ان أشد ما تبعث علـى الضحك رؤية المرء نفسه في المرآة .

هـــــاهههه

يظل يضحك الى أن يبح صوته فيصمت جامدا ، تتغيـر الانـارة بالخلف الى برتقالية ـ موسيقى ـ :

كثيرا ما نلاحظ انه كلما كانتالسحب ظهر في ناحية ما من السماء قوس قزح وربما بدا واضحا كلما سقطت الامطار والغريب أنه يتجلى لـك أينمـا كنت ـ حزام للا فاطمة الزهراء ـ من رآه دخل الجنة ... فما ذنب المسكين الذي وضعته أمه أعمى لم ير النور قط أو رآه ولكنه توفى رحمه الله قبـل أن تغيم السماء فيتكون ذلك القوس الذي يدخل الجنة من رآه ... على كل حال لا أعتقد أن أحدا منكم رأى قوس قزح لانكم مشغولون بالبحث عن طريق لكم في الارض لا في السماء .

يلتفت الـى الكـرسي رأسـه :

ولكن جدتي سوف تدخل الجنة وتخرج ثم تدخل فتخرج من جديد وتظل هكذا داخلة خارجة لانها قد رأت قوس قزح عدد النمل والحصى والتراب أليس كذلك أيتها الجدة الصغيرة ألست تستعجلين الموت حتى تدخلين الجنـة ، فاذ تملك بها مواعد مع أبيك وأبنك وأبنة ابنك وابن ابنك ابنة ابنتك أنا ؟

لا لا تغضبي أيتها الجدة فلقد نهيتك مرارا عن زيارتك لي أيام الآحاد لانك كلما زرتني فيها أحسست انك تتسببين لي فيما يدفع بي الى أن أحدثك كثيرا عما يقلقك فتحملين ما أتيتني به من قول وعدس وتعودين من حيث أتيت..

يقـدم الـى الامـــام :

أجل أفهم وما ذنبي أنا ... لم نعد في حاجة الى سواعد تبني بقدر ما نحن في حاجة الى فؤوس تهدم كل شيء وفعلا لقد تهدم كل شيء .

يصرخ (مع موسيقى) يقترب من الوسط ، انارة من الخلف تعطي ظله :

تهـدمـت البحـــار
تـــهـدمـــت الـنجـــوم
والازهـــــار
تـــهـدمـت الارواح
تهدم كل شيء في أرض الشيء
وغمرت الفضـاء والهـواء
روائـح القـيء
من ببطنه مقدار ذرة من شـر
فليتقيـاهـمـا الآن
تقيئوا افرغوا مصارينكم من لزج الخوار المعشعش على الافكار
والقـيء أحسـن تعبيـر .

ينحني ثم يتوجه الى الوراء ويشرب ، ثم يتجه نحو الكرسي حيث يجلس (موسيقى) يتمايل مع الموسيقى ثم ياخذ الكتاب ويقلب صفحاته واحدة واحدة الى أن ينهيه :

انني في حاجة الى سيجارة ... لم أحس مرة أني في حاجة الى التدخين فمالي الآن ... أريد أن أنام .. لبلة سعيدة يا أبناء جدتي ويا جدتي .

تقل الانارة حتى الظلام ، تشتعل انارة بالخلف ، تدخل المرأة باللباس الابيض والاسود وترش وهي تضحك هذه المرة .

يدخل الممثل وهو يلبس جلد ضبع وثوبا يناسبه . يجلس فوق الكرسي برهة ينهض من فوق الكرسي مبتعـدا :

لقد ثقلت رأسي علي لقد غلظ مخي وجحظت عيناي فأنا لا أنظر أمامي عين ترى ما باليمين من نجاسة وعين ترى ما بالشمال من نفاق وأنا أنا في الوسط لست حائرا بين بين ولكنني فقدت ثقتي ولست مسؤولا على ذلك هم دفعوني الى فقدان الثقة فأنا نتن ومن نتانتي تكونت كراهية الناس لي ومع ذلك فلست ضبعا كما قد يبدو لكم ، لا تصدقوا أعينكم أكثر من اللازم فقـد تكذب رؤية العين ، أنظروا الي بقلوبكم فرؤيا القلب لا تكذب ، أنظـر خلف القناع فأنا لست منافقا ولكنني صريح ... ليس أحب الى قلبي مع هذا وذاك من أن تصادف أذني كلمة ضبع يوع يوع يوع .

يستغرب مـا يحدثه مـن صـوت

ففي تقول بعض النساء لاطفالهن حتى يخفنهم فيناموا : ها بوع أو ها بوع بوع الست صاحب هذا الصوت ولو كنت خروفا لكانت باع باع ومع ذلك فانشودة الخروف أبلغ شعرا من أنشودتي ولشد اثرا ... ماذا تقولين لقد ثرثرت كثيرا ... حسنا يا جدتي سأنـام .

يختفي خلف الظلام ويسمع صوتـه :

سآتيك في صورة أسد هذه المرة أجل سأحل رباط الضاد وأمسح النقطة ثم أجعل من الصاد قوسين صغيرين ملتقيين لاتحول الى سبـــع .

تنطفيء الانارة ويسمع زئير أسد

يعود الممثل بعده وهو يلبس جلد أسد يقترب من الكرسي ثم الى الجمهور :

لن أفترسها وقد افترسها الدهر قبلي ولم يترك الا عظاما نخرة تعيش على أمجاد جمال مصطنع ومال مسروق ، لن أفترسها حتى لا أدخـل الـى جوفي عظاما مآلهـا جهنم ...

يلتفت الـى الكرســي :

لن أفترسك يا جدتي ولكنني سوف ألقي بك الى الذئاب الذكية فلها معك حساب أي حساب وأقول للذئـــاب

يلتفت الى الجمهور وهو يرجع الى الوراء في اتجاه الكرسي :

يا ذئاب هدية الغاب من ملك الغاب لا تأكليها الا بعد العذاب فالعذاب يعيد الشباب انه القول في كتاب ان اخطأ الصواب فلنعده الى الصواب .

يحاول حمل شخص من فوق الكرسي ولكنه لا يقدر :

لن أقدر على حملها وطأة الايام ألصقتها بالارض فأصبحت كصخـرة نائئة جذورها في قعـر البحـر .

يزيل القناع ويجلس على الكرسي :

لا أستحق أن اكون سبعا لاني أبا لم يكن كذلك لا ولا أبوه ولا جده ... كلا لقد كان جدي الاول سيد الكون لقد كان ملكنا وهو الذي قسم الكون الى ليل ونهار لقد كان يعتقد أن ماله كثير يكفي الجميع فاعطى الاسبقين بـدون حساب وعندما طرق بابه المتخلفون وعددهم لا يحصى كانت خزينتـه قـد اقفرت فلم يجد بدا من أن يفضل الممات على الحياة مخلفا أبناءه بين قتلـة وطغاة ولصوص وبائسين يطلبون الصدقـات .

يضحك بأعلـى صـوتـه :

الصدقات ... صدقة لله يا قومولوط صدقة لله يا قوم لوط .

يطوف بالحبال وهـو يـردد :

صدقة لله يا قوم لـوط ...

لقد الم بي الجوع يا قوم يسوع

يـبـتـســم :

كم أنا غبي ... أطلب الاكل من قوم يسوع الذين تركوا يسوع للجوع وانكروا مائدة الكليم بعد أن افترسوها افتراسا ...

يلتفت الى الكرسي معتذرا :

أعرف ان أحلامي خطيرة جدا ولكني لن أحلم شيئا منذ الآن سانـام يا جدتي اني في حاجة هذه المرة الى عدسك وفـولك ... فالفـول والعـدس

يقـتـرب مـن الكـرسـي :

قوت الرسل ... وكم كان بودي أن أكون رسولا ، لو كنت رسـولا لقلت للناس من أعلى الجبـل :

يرفع يده الى أعلى ويصعد فوق الكرسي ويتمايل :

أيهـا الـنـاس :

لن أحدثكم عن النار ولا عن الجنة فأنتم تملكون مفاتيح كـل منهمـا ولكنني أحمل اليكم أنباء قد يعرفها بعضكم .

احترسوا المجاعة احترسوا العطش فلـن تكفيكـم البحـار التي سوف تقيمون عليها ناطحات السحاب ولسوف يختل عقل أحـد عظمائكم فيحيـل الارض الى عهد آدم واذ ذاك يظهر قوم آخرون أصلح منكم يعيدون البناء على شكل آخر بينما تكرنون حطاما يداس وتحسون بالمحراث يشق جماجمكـم والفؤوس تخترق صدوركم ولكنكم لن تستطيعوا المقاومة وسوف تقام على حثتكم مدن يغمرها السلام والحب فالذين سوف يأتون من بعدكم لا يحترفون السياسة ولا يتصفون بالنفاق لانهم ليسوا من الاجناس التي تخاف الفناء .

ينـزل الـى القـاعـة منـاديـا :

عالجوا الموقف اذا قبل قوات الاوان فشر الداء ما كان الانسان معـه على موعد ... عالجـوا الموقـف .

يعيدها ثلاث مرات ثم يقفل راجعا الى المسرح وهو يضحك :

ولكأنني صرت نبيا بالفعل لا لا لا تصدقوا ما قلته لكم أنا لست رسولا

يلتفـت الـى الكرسـي :

هـل أنـا رسـول

يعود الى الوراء وتعود الانارة كما كانت عند البداية

أنا حشرة ما أنا الا حشرة ولكنها حشرة قاتلة سفاكة قد أشوه الوجه اذا مررت عليه أنا لا أو لم ولكنني أخلق الضعف من القـوة .

ان فريستي واضحة وأنتم كذلك ترونها معي تشهونها انها أمامنا جميعا ولقد سقطت من يدها عصا التوازن .

ظلام كلي ، موسيقى ، قطرات ماء

تعود الانارة فيبدو الممثل وهو نصف عار بين الحبال كأنه يستحم ويسمع من خلف الستار امرأة تنادي

ـ اسرع يا ولدي فلقد نهضت متأخرا اليوم كذلك .

ويجيبهـا الممثـل :

ـ انى استحم وسوف أحضر بسرعة

في هذه اللحظة يدخل شخصان مقنعان ويقبضان على الممثل ويأخذانه معهما وقد سدا فاه .

يزداد انهمار المياه وتنطفىء الانارة وتسمع صرخة المرأة بالخارج ، وتعود الانارة خافتة ، وفي المؤخرة خيال الظل للكلمة (الله) في صمت

ويبقى المشهد كذلك الى أن يخرج الناس من تلقاء أنفسهم .
وعند الباب الخارجي للقاعة يجدون جثمان الممثل وقد لف في ازار أبيض ملطخ بالدماء ويسمع مسجلا بالتكرار .

جثة هامدة وفكرة صامدة
وحياة اسعد
لم اراد

النهاية